٣ ــ العبقرية

علم وأدب وفن

للأستاذ الحومانى

تتمة

واختلال نظام الحياة فى الجسم مدعاة كبرى لاختلال نظام الحياة فى الروح لشدة تلازمهما بشدة أمتزاجهما ، فاذا كان لمحيطك جزء فيك ولك فيه مثل ذلك بصحبتك أياه زمناً ما ، فماقولك بصحة الروح للجسم أزمانا يقصر العقل دون حدها ؟

ولاتنس انك وانت تلحظ مايدفعك اليها مستعرضا مايحف بها من هذه العوامل ، أنك جد عاجز عن لحاظ مايردعك عنها من مرجحات العفاف .

وهكذا تراك ، وانت تلحظ مرجحات الفعل قاصراً بطبعك ان تلحظ مرجحات الترك ، ضرورة أنه يستحيل على المرء ان يفكر فى أمرين فى وقت واحد فيجمع بين النقيضين ، فاحفظ هذه لترجع اليها قريبا .

فالذى يدفعك الى هذا العمل أو سواه من وراء الارادة لقوة عوامل الدفع من الخارج فى نفسك ، والذى يردعك عنه لقوة نقيضها من عوامل الردع ، والذى تستعرض به هذه العوامل أو غيرها فى المجتمع ، والذى يميز هذه الخواطر وهو يتصفحها فيفاضل بينها ، والذى يخزنها فى أحدى زوايا النفس أو يطبعها على صفحات القلب ، والذى يستخرجها عند مسيس الحاجة اليها ويبحث عنها فيما اذا خفيت وراء الضمير ، والذى يدرس بها الحوادث الخارجية درساً يستحيل ملكة فى النفس تعصمها عن الزلل فى الحياة ، والذى تحس به ما تمسك اليه الحاجة فى نفسك أو فى بدنك ، والذى يلهب جسمك تصوره ويحدم صدرك بما يتأثر به من عامل ، والذى يزاوج بين محسوساتك فيستخرج من الحقيقة خيالا عن طريق الأبداع فى التصوير ، كل ذلك واحد لا تتعدد حقيقته ، وجزئى فيك من ذلك المعنى الكلى تتعدد اسماؤه بما يتكيّف به من شكل ولون خارجيّين

فاذا استعرض الحوادث وحاكم بينها ليميز حسنها من قبيحها كان فكراً ، واذا حملك على فعل الحسن لقوة مايحفه من عامل خارجى كان عقلا . واذا دفع بك الى اقتراف الأثم لما تحصّل عنده من ترجيح بسبب مايحفه من عامل كان هوى ، فاذا خزن مايمر به من خواطر فى احدى زوايا النفس سمى حافظة ، ثم اذا هو استخرجها بعد حين أو راح يبحث عنها سمى ذاكرة

واذا درست به الحوادث فربى فيك ملكة الاستنباط سمى حذقا ودهاء ، وهكذا قد تتصور به مباشرة أو عن طريق حواسك ماتنفعل به نفسك فينتج سرورا أو حزناً ينتجان لذة أو ألما فتدعو ماينتج عنه عاطفة .

وقد يبدع فى التصوير أو يتصور مرغما بدافع الوهم الخارجى فيعطيك على طريق العبث بالحياة أو الخطأ فى التصور صوراً خيالية ينتزعها من الحقيقة فتسميه خيالا أو وهما

فالعقل والفكر والحذق والحافظة والذهن والفطنة والذكاء والحلم والهوى النفس الأمارة بالسوء والشيطان ، كل ذلك مصدر ، واحد لهذا العمل الخارجى ، يتلون بالعوامل التى تحف بالعمل محسنة ومقبحه ، يلبس لكل مؤثر لونا غير لونه مع مؤثر آخر ، ويدعى معه باسم كان قد دعى مع غيره باسم آخر

أما استلزامه فى الدين حكم الجبر فذلك مما ارجحه ، والدين إنما كان لتربية المجتمع تدريجا ليستحيل الهوى فيه عقلا ، ويحول المثل الادنى فيه مثلا اعلى بحكم التطور ، اذ الخصائص النفسية بعد الارادة غرائز تكونت من الكسب الاجتماعى ، والجبر لامناص منه قبل هذه الاستحالة وبعدها ، فالمرء مع الهوى المطلق مجبر على كونه شيطانا ، ومع العقل المطلق مجبر على كونه ملكا .

فعلى هذا يكون مناط المثل الأعلى والمثل الأدنى فى المرء واحدا ولكنه باعتبارين مختلفين ، ولاعجب فى ذلك فالمرء مجمع الاضداد ، فبينا هو الحليم الرزين فى حالة ، اذا هو الاحمق الطائش فى حالة اخرى ، وبينا هو الشجاع المقدام فى مشهد ، اذا هو الجبان الرعديد فى مشهد آخر ، فليس ذلك ناشئاً فيه الا بفضل هذا السر الغامض الكامن فى نفسه المتلونة

وربما استقام لنا ان نخص المثل الاعلى بالعقل ، ونعزو المثل الأدنى للارادة ، إنما لابد لنا ونحن نمشى مع رغباتنا الى العمل السيء بعد المحاكمة العقلية وثبوت قبح هذا العمل لدى العقل أن نتساءل اين ذهب عنا مانسميه عقلا فلانحصله اذ ذاك الا بعد ان نلتفت اليه ؟

فما هو هذا الذى نلتفت به الى العقل ؟

هل هى الاراده وهى التى تدفعنا ؟

ثم اين يكون العقل ونحن فى انغماس بما تحملنا الارادة على الخوض فيه خلاف العقل ؟ فهل نفقده اذ ذاك ويكاد يكون جزءاً مقوما فى النفس . والنفس بمجموعها تيار لاينفك متلاطماً ، ولا يخبو له نشاط حتى يتعطل مايمسكه من آلة

فهل يذهب به اذ ذاك أختلال مركزه العصبى بينما نستطيع استرجاعه باقل التفات ؟

(النبطيه) جبل عامل

الحومانى